يرعون من شانها المطر لانه يبتول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا
اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكى الجدب فقال استغفر الله وشكى اخر الفقر وقلة النسل واخر قلة ريع ارضه
فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلى
هذه الاية وقوله يرسل السما عليكم اى يرسل ماء السما وذلك لان ما المطر ينزل من السما الى السحاب ثم ينزل من
السحاب الى الارض وقيل المراد بالسما المطر من قول الشاعر اذا نزل السما بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا •
يعني المطر مدرارا اى كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا اى متتابعا ويمددكم باموال وبنين
اى يكثر اموالكم واولادكم ويجعل لكم جنات اى البساتين ويجعل لكم انهارا وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه ما لكم
لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس اى لا ترون لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله فالرجا بمعنى الخوف
والوقار والعظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة
وقيل معناه ما لكم لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا وقد خلقكم اطوارا يعني تارة
حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه
بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اى بعضها فوق بعض
وجعل القمر فيهن نورا يعني في السما الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم وانما اتى رجلا منهم وجعل
الشمس سراجا يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمر ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس
والقمر واقفيتهما الى الارض ويروى ان هذا عن ابن عباس ايضا والله انبتكم من الارض نباتا يعني انه اراد مبدا خلق
ادم واصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل موضع المصدر اى انباتا وقيل تقديره
انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهو انه لو كان انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني اولى لان الانبات
صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اجيا الله
تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر ان هذا
العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف ثم يعيدكم فيها اى في الارض بعد الموت ويخرجكم
اى منها يوم البعث اخراجا يعني اخراجا حقا لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا اى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون
فيها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني
اى لم يجيبوا دعوتي واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني اتبع السفلة والفقرا القادة
والروسا الذين لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الاخرة ومكروا مكرا كبارا يعني
كبيرا عظيما يقال كبيرا وكبارا بالتشديد اشد واعظم في المبالغة والماكرون هم الروسا والقادة ومكرهم
احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان والميل اليه
والاستماع منه وقيل مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله وقالوا يعني القادة
للاتباع لا تذرن الهتكم لا تتركن عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه
اسما الهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة في جملة قوله ولا تذرن الهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه
الخمسة المذكورة وهي اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسما قوم صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما
ماتوا كان اتباع هولا يقتدون بهم ياخذون بعدهم باخذهم بالعبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم
صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشا قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين
من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتدا عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصورة بهذه الاسما لانهم

سوروها

صوروها على صورة اولئك القوم الصالحين من المسلمين خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صارت الاوثان التي
كانت تعبد في قوم نوح في العرب بعدما اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث
فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لال ذي الكلاع اسما رجال صالحين
من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها
باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم عبدت الاوثان وروي عن ابن عباس ان تلك الاوثان
دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام
اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف
ونايلة وهبل كانوا لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك
من الاسما وقد اضلوا كثيرا اى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبرا قوم نوح كثيرا من الناس ولا
تزد الظالمين الا ضلالا يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعا عليهم وذلك ان نوحا
عليه السلام كان قد امتلا قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم **فان قلت**
كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بزيادة الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه **قلت** انما دعا عليهم
بعد ان اعلمه الله انهم لا يومنون وهو قوله تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد امن وقيل انما اراد بالضلال
امر الدنيا وما يتعلق بها لا في امر الاخرة مما خطاياهم اغرقوا اى بالطوفان فادخلوا نارا اى في حالة واحدة وذلك
في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الاية على صحة عذاب القبر
وذلك لان الفا تقتضي التعقيب في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول
النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الاخرة لانه يبطل دلالة الفا وقيل معناه انهم سيدخلون
نارا في الاخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاول اصح فلم يجدوا لهم من دون
الله انصارا يعني ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله الذي نزل بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا يعني احدا يدور في الارض فيذهب ويجي من الدوران وقيل اصله من الدار اى نازل دار انك
ان تذرهم يضلوا عبادك قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه
كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما قال نوح هذا
حين اخرج الله كل مومن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام النسا وايبس اصلاب الرجال وذلك
قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يومنون ولا يلدون مومنا
فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم
قبل العذاب رب اغفر لي وذلك انه لما دعى على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل
وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تاذيه فكان ذلك الدعا عليهم كالانتقام
منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس او لانه ترك الاحتمال ولوالدي وكان اسم ابيه
لمك بن متوشلخ واسم امه سمحى بنت انوش وكانا مومنين وقيل لم يكن بين ادم ونوح عليهما السلام من
ابائه كافر وكان بينهما عشرة ابا ولمن دخل بيتي مومنا اى داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي وللمومنين
والمومنات وهذا عام في كل مومن امن بالله وصدق الرسل وانما بدا بنفسه لانها اولى بالتخصيص والتقديم
ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعايه من غيرهم ثم عم جميع المومنين والمومنات ليكون ذلك ابلغ في الدعا ولا تزد
الظالمين الا تبارا اى هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاه فاهلكهم جميعا والله اعلم تفسير سورة الجن

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)